باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتحبيباً للاذهان . ولكنَّ السهلة في ما يدرج فيهِ على اختلافهِ فمن براهُ مما كلهِ . ولا تدرج ما خرج عن موضوع المقتطف وتراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

الدستور والاسلام

ما كادت مظاهرات العثمانيين يوم نودي بالدستور تبلغ بهجة التبسط في الفرح حتى انفرد بعضهم اسقياء منهُ لاقتضائهِ الحرية والمساواة . ولا غرابة فان الاختلاف في الجديد لا تخلو منهُ امة من امم العالم والعثمانيون اقل اختلافاً من سواهم واقربهم الى الاتفاق وخصوصاً متى ادركوا الحقيقة فانك لا تجد حينئذٍ فيهم من يكابر ولكنهم اختلفوا في الدستور على علمهم بفضلهِ وعلى ما تحملوهُ من ضغط الاستبداد وقهرهِ بدسائس اعدائهِ اولئك الذين قد طرقوا الطعن فيهِ من باب ديني تعزيزاً لمقاصدهم ولذلك جعلنا موضوع كلامنا (الدستور والاسلام) حتى يتأكد لحضرات الذين قد شوَّشت المطامع اذهانهم وكدَّرت افهامهم ان الدستور ليس بالشيء الحادث الذي لم يعهد قبلُ . وفضلاً عن ذلك ان الاختلاف ولاسيما في المسائل العمرانية ضرب من التجريب فمن الضرورة ان تفهم الحرية والمساواة بمعناها الصحيح حتى يمكن لنا الوصول الى الحقيقة فان لم نفهمها كذلك فليس وراء المفهوم غير حرية محظورة ومساواة مستحيلة واليك البيان .

ان جميع ما يرى على الارض من شرور الانسان صادر عن حريتهِ المحضة اي الحرية المتطرق عليها ولولاها لما دعت الحاجة الى اقامة حكومة . فالحالة هذه ما استطاع الانسان ان يجتمع منتدباً بشريعة تحفظ حقوقهُ حتى باع حريتهُ المحضة للعدل وأصبح مسئولاً امامهُ عن كل ذنب يقترفهُ وهو انما رفع لذلك لعلمهِ ان باجراء العدل حرية اجتماعية تخولهُ التمتع بخير الحضارة والعمران

تلك هي حرية الدستور التي تستاء منها وهي في حصر المعنى عبارة عن اجراء العدل وليست

هي وحدها كذلك بل المساواة وسائر الاحكام الدستورية بدليل وجود الكل حيث يكون الاجراء وليس ثمَّ دستور . فان قيل ان لهذه الحرية معنى آخر يضر بالفوائد والعقائد . قلنا : ان المقول محمول على اشتراكها في الاسمية مع الحرية المحضة ألا ترى كيف ان العامة عندنا وبعض خاصتنا الذين يدعون الخاصة بدون حق لم يفهموا لها معنىً غير ما يستفاد منهُ عدم المسئولية بالاطلاق حالة كون مسماها على طرفي نقيض — هذه للخير وتلك للشر . فما حرية الدستور الاَّ لوقوفنا ازاء السلطة الحاكمة احراراً نتكلم بالسنتنا ونكتب بأقلامنا ونسعى بالاشتراك مع حكومتنا في ما يوفقنا الله اليهِ من اسباب التقدم والنجاح مغذين حياتنا الاجتماعية بالغذاء الذي نجدهُ نحن انفسنا صالحاً لها بدون ان يكون فرقاً بد تغلبنا على امورنا

وغني عن البيان ان شر الانسان في ازمنة الاستبداد اكثر منهُ في ازمنة الدستور وسبب ذلك ان المظالم تقوي فيهِ حريتهُ المحضة حتى يغدو كل فرد من الميتين (الحاكمة والمحكومة) لا همَّ لهُ الاَّ الجري وراء مصالحهِ الخصوصية فتكثر حينذاك الشرور وتستولي الرذيلة وتحتدر البلاد باهلها وبعوائدهم وعقائدهم معاً في دركات الشقاء والانحطاط . وهذا كلهُ مشاهد فينا وفي كل امة يتأمرها حكام ظلام فاذا كنا نخشى في حال الدستور ان يلحق بعوائدنا وعقائدنا اضرار ادبية ودينية فبالاحرى ان نخشى ذلك في حال الاستبداد زمان لا يكون غير الرياء والخداع والكذب والنفاق الى آخر رذيلة مضرَّة بالدين والآداب . على ان حرية الدستور قد تجري مجرى الحرية المحضة اذا لم تتهيأ لها اسباب الخير او تهيأ بعضها وأخفل البعض الآخر كما في الخلل عند الامم الراقية وسنأتي على ذلك في وقت آخر ان شاء الله . فعلينا اذن ان نهتم باستعمال حرية الدستور في ما وضعت لهُ دفعاً للشر فما الاستياء منها الاَّ ضعف على ابالة

تقدم ان المظالم تقوّي في الانسان حريتهُ المحضة ولتحقيق ذلك نقول : كما ان هذه الحرية قد باتت اسيرة العدل من يوم اجتمع الانسان تحت ظل الشرائع والاحكام كذلك الحرية الاجتماعية المعروفة بحرية الدستور اسيرة الظلم لما ان كلاً منهما (اي العدل والظلم) عامل على معاكسة الآخر . وعليهِ فاذا حلَّ الظلم محل العدل أطلق سراح الحرية المحضة كما ان العدل يطلق سراح الحرية الاجتماعية ولا اشكال في كل ذلك

هذا ولا بدَّ لنا وان اتم ان من الاضرار التي نخشاها ما يعدهُ غيرنا نافعاً — وذلك الغير الآخذون بحقائق الامور الذين من حوضهم نغترف فعلينا ان نحذو حذوهم في جميع امورنا العمرانية حتى لا يبقى لمن يطمع في الانتفاع من ضعفنا كما هي الحال الحاضرة . فان لم نفعل

نظل حيث نحن ولو أُعطينا الف دستور بدل الدستور الواحد او نبيت هدفاً لعوامل التقهقر الى درجة الافتراض حتى لا يبقى منا احد يخبر الامم عن جهلنا — هذا اذا بقيت البلاد بلادنا والملك ملكنا

ومن غرائب احوالنا نحن العثمانيين اننا نأخذ بمعاضدة خصوم الارتقاء على شدة احتياجنا اليهِ وعلى علمنا بما كان عليهِ اسلافنا فديماً زمان كانوا لا يتامون عن الجد وراء احراز المجد

هذا ولكي نعرف نوع حرية الدستور ومقدار نطاقها حتى المعرفة ينبغي ان نقابلها بحرية دستور الاسلام قديماً — تلك الحرية التي منحها عمر بن الخطاب للناس يوم قال لهم " من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقوّمهُ " فاذا قابلنا تبيَّن لنا وحدة النوع بينهما وان حريتنا اضيق نطاقاً من حرية اسلافنا الاقدمين لان ذلك النطاق الفريد قد وسع الحرية بجميع معانيها التي يمكن للعقل ان يتصوّرها . فاذا لم يكن بدٌّ من الاستياء من حرية الدستور فلنستأ من ضيق نطاقها التماساً للمزيد حتى يعادل ذلك النطاق القديم

على انهُ لمن المحال ان نجد اليوم بين حربات الامم الراقية ما يعادل الحربة التي اتيتها هذا القول . نعم قد سمعنا عامل الالمان يقول لشعبهِ " انا خادمكم اسألوني فأُلبيكم " غير ان هذه الحلية التي حلّى بها سلطانهُ هي صنعة يد العصر لا صنعة يده فاين هو من ذلك الامير العربي الرافع لواء العدل الذي اندفع من تلقاء نفسهِ الى منح الحرية لشعبهِ من دون ان يسبقها طلب او ادنى حركة متلفة من حركات هذا العصر الفائقة عندهم ضد السلطات . وايَّة حرية لشعبٍ من شعوبهم تضاهي جواب ذلك الشعب العربي بلسان واحد منهم نهض قائلاً " لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناهُ بسيوفنا " بل ايَّة منحة في عوالم السلطات تقاس بقول ذلك الخليفة العظيم الشأن " الشكر لله الذي جعل من يقوّم اعوجاج عمر بسيفهِ "

نقول : كما ان الحريَّة الاجتماعية عائد فضلها الى الاسلام كذلك المساواة لان مقدار الاسوة الذي جاءت بهِ الشريعة الغراء لم يسمع بمثلهِ قط . ولا حاجة الى ايراد ما يؤكد ذلك كقول عمر لامير ضرب اعرابيًّا " لا فرق عندنا في القضاء بين الامير والصعلوك " وكاستراء عليٍّ فيهِ مع رجل من عامة الاسرائيليين — لان ما جاء في الاسلام من نحو هذه الفضائل اعلى شهرة من ان يذكر فكلنا يعلم بما كان لليهود والنصارى في صدر الاسلام من الحرية الشخصية والمساواة في الحقوق اذ كان لهم ما للمسلمين بلا خلاف ولا يزال صدى ذلك القول المأثور " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " يدوي حتى في آذان العامة ولا يرد

عليهِ ما حرموهم اياهُ من الحقوق الوطنية فان ذلك الحرمان لم يكن من الشريعة اصلاً وانما اقتضتهُ السياسة زمانئذٍ لضعف الثقة بهم اذ كانوا حديثي العهد بالمواطنة وكانت الفتوحات مدار السياسة الاسلامية

ولا جدال ان دولة الاسلام الاولى كانت تحكم باحكام دستوريةٍ محضة . ولا يشكل بعدم قيام مجالس نيابية فيها فانهُ لا علاقة بينها وبين الدستور الاَّ من حيث الظرف من الرجوع الى الاستبداد خصوصاً وان الدستور لم يكن منهُ الاَّ احكامهُ اي ان اسمهُ ما كان معروفاً عندهم فكان الدين قائماً مقامهُ لمنع السلطة عن الاستبداد . وواضح ان انتشار روح الدين اياشئذٍ بقوة راسخة واتخاذ الشريعة اساساً لكل عمل اشتهر عن كل ذلك اذ لم يكن قط ما يدعو الى الخوف من استيلاء الاستبداد

غير ان الانسان يبطر والايام تتغير فلم يكن الاَّ ريث من الدهر حتى دبَّت عقارب الضغط والقهر فتوارى العدل وتنومي الفضل وبرز الظلم وانطفأ نور العلم

ولذلك اسباب سياسية منها تجزُّؤ المملكة العربية زمان لم يبقَ في وسع الخلفاء اخضاع العمال الذين مرقوا من طاعتهم وتحكموا في رقاب الناس كيف شاؤوا . ومنها غارة جبابرة اجتاحوا البلاد بجحافلهم وهتكوا حرمة العدل باستبدادهم . واخيراً مظالم الالتزام ايام كانت البلاد تباع انساماً انساماً لمدات معينة والحكم لمن يدفع الاكثر وكان الثائرون يدخلونها فارغي الافواه لابتلاع اموال الناس . واظن ان سوريا لا تخلو اليوم من شيوخ قد لحقوا شيئاً من ذلك البلص . على ان الاستبداد الاخير قد رجع بالبلاد الى مثل ذلك الالتزام اذ كان الولاة والمتصرفون يبتاعون مراكز الحكم بالمال كما هو معلوم

فامر مسلَّم هو ان تلك الشدائد السياسية مع انطفاء نور العلم الديني والدنيوي معاً وابتداع تعاليم فاسدة اتخذها الناس قاعدة للظالم — كل ذلك جعلنا وراء سائر الامم بين ان وسائل التقدم منا على قاب قوسين — ولكن ما الحيلة اذا كنا نأبى الاَّ ان نعيش لعوائد راسخة نجد بها لذة التفوق والسيادة على غيرنا بان اسلافنا الاقدمين كانوا يستخرجون من مكنونات الدين الاجتماعية جواهر باهرة وباننا كنا اخرة في البشرية والوطن ألسنا نعلم ان تلك العوائد هي غرسة يد الجهل لا غرسة الدين فحق مَّ اذن تتقاعد عن استخدام قوة الارادة لقلعها فان كان ولا بد لنا من الامتيازات الدينيَّة فلنتوقعها في السماء دون الارض لان للامتيازات الارضية احوالاً اخرى لا تتعلق لها بالدين وهاك بيان ذلك

ليس يخافُ ان المساواة التي اسمعنا اياها الدستور هي المساواة في الحقوق ليس غير

لان المساواة في غير الحقوق مستحيلة على الارض . ثم من المعلوم ان كل فرد من افراد الانسان يختلف عن غيره في الاخلاق والمدارك والاستعداد الى آخر ما هنالك من الميزات بين الافراد حتى يستحيل وجود اثنين متساويين . وعليه فاذا طالب احد منا غيره بالمساواة في غير الحقوق فانما يطالبه بالمستحيل ولعل هذه المساواة لا توجد حتى ولا في عالم واحد من عوالم الاكوان كلها لاختلاف طبائع الكائنات . اذن اية مساواة جاءنا بها الدستور ان لم تكن المساواة في الحقوق حال كونه لا يستطيع ان يوجد لنا مساواة اخرى غيرها ولو عززناه بملايين من الدساتير

هذا ومن آفات الحياة الاجتماعية التي نجدها في بلادنا دون سائر بلاد الله ان نرى زيداً من الناس يدعي التفوق على عمرو لاختلافهما ديناً كأن الدين جاء ليعلو بالوضيع على الرفيع . مع ان مقامات الناس انما تكون بحكم التأثير في الهيئة الاجتماعية فكل مقام لا تأثير له فيها كمقام النبي الليم مثلاً هو باطل . فالوثني المحسن الصالح مثلاً أعلى مقاماً في نظر الارض والسماء معاً من الشيء المسيحي المتدين باحد الاديان المنزلة لمجرد التفاخر بدينه . ومقام العالم الوثني فوق مقام الجاهل مهما كان دينهُ . ومقام فيلسوف من فلاسفة اليونان كارسطو وسقراط يعلو على جميع ما في شرقنا الآن من المقامات . فاذا رأيت عطلاً يحدثك عن معبوده او عن جحوده فاولهِ ظهرك وامشِ لان المقامات الصحيحة انما تقوم بالذاتية

مرسين جرجس خوري

المكاتب العربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على الخطب التي تليت يوم افتتاح الجامعة المصرية ونشرتموها في جزئي يناير وفبراير وقد وقفت امام عبارة تاريخية وردت في خطبة حضرة احمد بك زكي سكرتير الجامعة وهي قولهُ "ان المكتبة التي جمعها بطرابلس بيت من بيوت القضاة وهم آل عمار بلغت ٣٠٠٠٠٠٠ مجلد ولكنها قضي عليها نحس الطالع فذهبت كلها طعمة النار"

فهل يريد حضرة زكي بك انهُ كان في طرابلس الشام مكتبة لبعض قضاتها تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات افلا تظنون انهُ وقع خطأ مطبعي والصواب حذف صفرين من الاصفار الستة فان ذلك اقرب الى العقل وثلاثون الفاً من المجلدات ليست مما يستهان بهِ بل هي مكتبة كبيرة جداً اذا احتواها بيت انسان واحد اما اذا حوت تلك المكتبة ثلاثة ملايين

مجلد فنكون اوسع مما استطاع جمعهُ المتقدمون والمتأخرون في مكتبة واحدة فارجوان تفصحوا لنا عن رأيكم في ذلك ولكم الفضل بيروت احد الطلبة

[المقتطف] لا ندري عمن نقل حضرة الخطيب ما نقلهُ . وقد جاء في تاريخ سورية الذي الفهُ حضرة المؤرخ جرجي افندي يني الطرابلسي في الصفحة ٣٨٢ ما نصهُ " ان خزائن طرابلس كانت مملوءة من الكتب المفيدة التي احالها الافرنج رماداً فخسر العالم بفقدها كنزاً عظيماً فان بين مجلداتها كثيراً من كتب الفرس والعرب واليونان وكان فيها عديد من الكتبة يشتغلون على الدوام بنسخ كتب الخط وقال ابن علي المؤرخ العربي ان عدد هذه الكتب كان ثلاثة ملايين من المجلدات غير أن مؤرخاً آخر يقول ان عددها لم يتجاوز المائة الف مجلد وان جامعها القاضي ابو حسن طالب وهو نفسهُ قد ألف كثيراً وانهُ كان متولياً البلدة وقد بعث برسائل الى الاقطار مفتشاً عن الكتب النادرة مهما كان ثمنها عظيماً وقد ندب مؤرخو العرب فقدان تلك المكتبة على ان المؤرخين الصليبيين القدماء لم يذكروا عنها شيئاً ليستروا زلة قومهم "

وواضح مما تقدم ان احد مؤرخي العرب جعل عدد تلك الكتب ثلاثة ملايين اي اكثر مما استطاع جمعهُ اي ملك كان من الملوك العظام واكثر مما في المكتبة الانكليزية الكبرى والمكتبة الالمانية الكبرى ومثل ما في المكتبة الفرنسوية الكبرى او اكثر منهُ وان مؤرخاً آخر قال ان عددها مئة الف فقط وان اسم جامعها هو القاضي ابو حسن طالب . وقد نقل كترمير في تاريخ المماليك ان عددها مئة الف ايضاً وان الذين جمعوها آل عمار ونقلت ذلك الانكلوبيذيا البريطانية في كلامها على طرابلس اما ابن الاثير وابن خلدون فذكرا اخذ الافرنج لطرابلس ولم يذكرا شيئاً عن حرق كتبها وواضح مما جاء في ابن الاثير ان آل عمار كانوا ولاة طرابلس او على الاقل القاضي فخر الملك ابو علي ابن عمار . وقد قال ابن الاثير ان الافرنج نهبوا من اهل طرابلس الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى ولم يقل انهم احرقوها وكان ذلك سنة ٥٠٣ للهجرة وكان ابن عمار والياً على طرابلس فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٣٠١ ان القاضي فخر الملك ابا علي ابن عمار صاحب طرابلس الشام ورد الى بغداد قاصداً باب السلطان محمد مستغيثاً على الفرنج طالباً تسيير العساكر لازاحتهم عن طرابلس . اما اهالي طرابلس فراسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منهُ والياً يكون عندهم ومعهُ الميرة في البحر فسيَّر اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب والياً ومعهُ الغلة وغيرها مما تحتاج اليهِ البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة

من اهل ابن عمار واصحابه واخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر فاذا ذهب اموال آل عمار والٍ من قبل مصر لا الافرنج على قول ابن الاثير وان كان ذلك الوالي قد ارسل الامتعة الى مصر وترك الكتب فيكون ذلك اقلة احتفالاً بها وان صح ان آل عمار هم الذين جمعوا تلك الكتب فالذين جمعوها من ولاة طرابلس لا من آحاد الناس فهي مكتبة عمومية وبقي امر الاختلاف بين ما نقله تاريخ المانيك وما نقله تاريخ سورية في اسم الجامع لهذه الكتب وبين المؤرخين الذين استشهد بهما تاريخ سورية . وان كان اغفال المؤرخين الصليبيين القدماء ذكر احتراق هذه المكتبة هو لنزلة قومهم فماذا اغفل ذكره ابن الاثير وابن خلدون ايضاً. هذه امور تستحق البحث المدقق اما القول ان تلك المكتبة كانت تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات اي اكثر مما تحوي به المكتبة الخديوية ستين ضعفاً فما يصعب تصديقهُ

الوحام والاجنة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

ذكرتم في الجزء الماضي في ما اجبتم به عن السؤال الاول انهُ لم يقم دليل علمي حتى الآن على تأثير الوحام في الاجنة على ما جاء في قصة لابان . والمتعارف عندنا ان الوحام يؤثر في الاجنة ويذكر الناس اشياء كثيرة غير عادية ظهرت في الاجنة ولا تعليل لظهورها غير ان امهاتهم توحمن عليها وهن حوامل كأن يولد الطفل وفي وجهه علامة مثل التفاحة لان امهُ توحمت على التفاح وهي حامل به او يولد وفي ذراعه علامة تشبه القثاء لان امهُ توحمت على القثاء . افلم يذكر العلماء ولاسيما الاطباء امثلة مثل هذه وكيف تعللونها

مصر باحث مستفيد

المقتطف : نعم ذكر الكتاب امثلة كثيرة من هذا القبيل ذاهبين فيها الى ان وحام المرأة او ما يعرض لها اثناء الحمل يؤثر في جنينها جسداً وعقلاً وقد جمعت الدكتورة فلورنس درسلر الامثلة التالية على ذلك

المثال الاول . قال الدكتور بنكوست ان امرأة رأت زوجها دخل بيتهُ ووجههُ وارم مشوه من لطمة اصابتهُ وكانت حبلى فولدت ابنةً وجهها وارم محمرٌ

المثال الثاني. جاء في كتاب الاحاديث الطبيعية ان ولداً حرق وجههُ وشوه ورأتهُ

امهُ على تلك الحال وكانت حبلى فلما جاء وقت ولادتها ولدت جنيناً ميتاً ورأسهُ كبير بالنسبة الى جسمهِ وعليهِ نقاط كأنهُ محروق

المثال الثالث . روى الدكتور اشبرتن طمسن ان رجلاً اصيب بآفة واضطرَّ الجراح ان يخرق رقبتهُ ويدخل فيها انبوباً يتنفس منهُ . ورأتهُ امرأة حامل وهو على تلك الحال فرسخ في ذهنها ان جنينها سيولد مشوَّهاً كذلك فولدت طفلاً في عنقهِ شق كالشق الذي رأتهُ في عنق ذلك الرجل

المثال الرابع . خُرقت اذنا ابنة لبس الحلق وكان ذلك على غير رضى امها وكانت حبلى واعتقدت انها ستلد طفلاً اذناهُ مخروقتان فكان كذلك

المثال الخامس . ولد طفل وفي احدى قدميهِ اربع اصابع فقط وهي فاقدة الاصبع الاصغر وقالت امهُ انها لما كانت حبلى كان زوجها يقص اظافر قدمها فلما وصل الى الاصبع الاصغر قال لها مازحاً الاحسن قص هذا الاصبع فصرخت وابعدت رجلها عنهُ غضباً فاثَّر ذلك في جنينها

المثال السادس . روى الدكتور ملجن ان امرأة رأت قريباً لها والطبيب يعلق لهُ العلق (الدود) على رجله فنفرت من ذلك وكانت حبلى فولدت طفلاً على رجلهِ شيء كالعلقة لاصق بها

المثال السابع . كان ولد مغرماً بالمراهنة يراهن رفاقهُ التلامذة على كل شيء ويكسب منهم ولا يكلم احداً الاَّ ويدعوهُ الى المراهنة حتى ضاق بهِ معلموهُ ذرعاً وقاصُّوهُ كثيراً ولم يرتدع وبحث طبيب العائلة عن سبب ذلك فوجد ان ابا الولد كان يركب خيل الرهان ويعلم ايهما يسبق غيرهُ ويخبر زوجتهُ لكي تذهب وتراهن وكانت تفعل ذلك دائماً وهي حبلى بهِ ثم تركت الرهان وترك زوجها ركوب الخيل واحترف حرفةً اخرى وولد لها اولاداً آخرون ولكنهم لم يكونوا مثل الولد الاول المغرم بالرهان

المثال الثامن . كان رجل سائراً مع امرأتهِ في غابة ليلاً ورأيا شيئاً خافت المرأة منهُ وطلبت من زوجها ان يهرب بها وكانت حبلى في شهرها السادس اما هو فامعن نظرهُ مبقى الشيء الذي اخافها فوجد انهُ رجل سكران ملقىً على الارض يترنَّح ثم ولدت تلك المرأة ابنةً ممتوهة كالسكران

المثال التاسع . قال الاستاذ فولر اصيب ولد على رأسهِ بشيء صلب جلدهُ وأتى بهِ الى البيت على هذه الصورة ورأتهُ امهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً مشوَّهاً ممتوهاً

المثال العاشر . قال الدكتور بنكوست ان امرأة أُجبرت على ولادة عجل يذبح ويشق بطنهُ وتنزع امعاؤهُ منهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً امعاؤهُ خارجة من بطنهِ

المثال الحادي عشر . راى رجل خنزيراً صغيراً راكضاً ينتش عن امهِ ليرضع منها فضربهُ بعصاً كسرت ظهرهُ فزعق زعيقاً مؤلماً وكانت زوجتهُ واقفة ورأت الخنوص وسمعت صوتهُ وقالت انهُ خرق اذنيها وكانت حبلى فلما ولدت جاء طفلها فاقداً قوة الحركة في ظهرهِ ورجليهِ

ويقال ان ام نبوليون بونابرت رافقت زوجها في واقعة حربية وهي حامل وساعدتهُ في تنظيم حركات الجنود فولد نبوليون وهو رجل حرب لا يهنأ لهُ عيش الاَّ اذا كان على ظهر جوادهِ يدبر الوقائع الحربية ولم يكن احد من اخوتهِ كذلك

وان موزار الموسيقي المشهور كانت امهُ تشتغل بالموسيقى وهي حامل بهِ ثم اهملت الموسيقى بعد ولادتهِ فجاء اولادها بعدهُ ولا ميل لهم اليها

وان ابنة مدام بورغي مامو كانت تغني كل اغاني الاوبرا وهي في الثالثة او الرابعة من عمرها من غير ان تتعلَّم وذلك لان امها كانت تغني في الاوبرا وهي حامل بها

وزارح كلبرن الرياضي كان نابغة في الرياضيات وسئل وهو في السادسة من عمرهِ كم يوم وكم ساعة في ١٨١١ سنة فاجاب بعد ثلث دقيقة ان فيها ١٥٠ ٦٦١ يوماً و١٥٨٦٤٣٦٠ ساعة وقد كانت امهُ حائكة تحيك المنسوجات المعرَّقة وتعدُّ الخيوط وتحسب ما يلزم ان يؤخذ من كل لون لتكوين العروق اللازمة وكانت تفعل ذلك وهي حامل فوُلد حسَّاباً كما تقدَّم

وقد ذكروا امثلة كثيرة من هذا القبيل ولاسيما من حيث ولادة الاولاد الجمال المنظر المعتدلي القامة وتعليل ذلك بان امهاتهم كنَّ ينظرن الى الصور الجميلة في حال حملهنَّ

ولكن من يمعن نظرهُ في هذه الحوادث ومثالها يجد ان التعليل يوجد بعد الحادثة اي اذا وُلد ولد وفيهِ علامة ما غير عادية ادَّعت امهُ انها رأت ما يشبه تلك العلامة فاثَّرت رؤيتها فيها . ولم يُذكر ان امرأة حبلى رأت شيئاً غير عادي وانبأت هي او غيرها ان طفلها سيولد وفيهِ ما يشير الى ذلك الشيء وكتب ذلك في كتاب حتى لا يقع غلط فيهِ لانهُ لا يعتمد على الذاكرة في هذه الاحوال

واذا كانت الحوادث المتقدِّمة صحيحة فاذا لا تتخذ قاعدة لتحسين نوع الانسان شكلاً ولوناً وقواماً وعقلاً وادباً

ثم اننا رأينا بعض العلامات التي قيل انها اشبه شيئاً رأتهُ الحامل فلم نرَ اقل مشابهة بينها وبين ما قيل انها تشبههُ فقد قيل لنا مرةً ان ولداً ولد وفي جنبهِ صورة سمكة وان ذلك

ناتج عن ان امهُ اشتهت السمك وهي حامل وحكّت جنبها فجاء ابنها وفي جنبهِ صورة سمكة ولما اظهرنا الريب في ذلك اتوا بالولد وكان فتى فرأينا في جنبهِ شحمة بنيَّة اللون لا تشبه السمكة الاَّ في كونها طويلة ضيقة وليس لها رأس ولا ذنب ولا زعانف ولا شيءٌ من مقومات صورة السمك

وقيل لنا مرةً اخرى ان ولداً ولد وفي عنقهِ صورة كبش من كبوش الثوت الشامي لان امهُ اشتهت الثوت الشامي وهي حامل وحكّت عنقها فرايناهُ واذا في عنقهِ شامة كبيرة مستطيلة لا غير ولم نرَ شبهاً بينها وبين الثوت الشامي

وكل حامل ترى اموراً كثيرة تؤثر فيها مدة حملها وتشتهي اشياء كثيرة فلو كان ذلك يؤثر في الجنين لما وجدنا حدًّا لاختلاف صور الناس المتقدمة لاشكالهم

ولا شبهة ان حالة الحامل الصحيَّة تؤثر في جنينها وانهُ يرث منها ومن ابيهِ واسلافها كل ما فيهِ جسدًا وعقلاً وانهُ قد يشذُّ عنها في اشياء لان الدقائق التي تصل اليهِ منها تتركَّب فيهِ على صور تخالف الصور الاصلية التي كانت فيها . ومن المحتمل ان الامور التي تؤثر فيها تأثيرًا شديدًا تؤثر في جنينها ايضاً ولكن الذي يعلم كيف يتكوَّن الجنين وكيف انهُ خلاصة تاريخ والديهِ واسلافهما منذ الوف والوف الوف من السنين ولم تثبت صفة فيهِ الاَّ بعد ان توالت على اسلافهِ اعقاباً كثيرة لا يصدَّق ان رؤية المرأة وجه زوجها وارماً تؤثر في جنينها فيولد ووجههُ وارم

وربما يكن من ذلك فالامر يحتاج الى تحقيق علمي وتجارب كثيرة حتى يثبت او ينفى بالامتحان

مذهب جديد في تعليم اللغة العربية

يا صاحبي المقتطف الزاهر

سلام عليكما ونعم الله بعلمكما الناس وبعد فارجو ان تفسحا للبيان الآتي مجالاً في صحيفتكما الزاهرة

لا يخفى على المشتغلين بتعليم اللغة العربيَّة او تعلمها انها من اصعب لغات الارض وان الناشيء قد يصادفهُ من العقبات ما لا يصادفهُ من اللغات الاوربيَّة واكثر المصاعب وضوحاً في اللغة العربيَّة ما يأتي :

١ ان اللفظ الواحد فيها يمكن ان ينطق على صور مختلفة ويؤدي معاني مختلفة فلفظ (نهم) مثلاً يقرأ نُهِمَ ونَهِمَ ونَهِمٌ وعلم يقرأ عَلِمَ وعُلِمَ وعَلَمٌ وعِلْمٌ

٢ ان اللغة المكتوبة والمتروءة في الكتب الصحيحة واسفار العلم وصحف الادب ونحوها هي اللغة الفصحى وهنالك غيرها لهجات شائعة بين عوام الناس وتختلف باختلاف الاقليم الواحد والقطر الواحد ويشاهد برهان ذلك ان فلاح مصر لا يمكنهُ فهم لغة رجل من المغرب الاقصى او الجزائر او الشام . فالعربي في الحقيقة يتعلم لغة لتفهم اليومي ولغة لفهم ودرس الكتب الفصيحة

امام هاتين الصعوبتين الرئيسيتين في اللغة العربية نرى ان اللغات الاوربية خالية من كل ما يصعب تعلمها ويجعل السبيل اليها وعرًا . فالاختلاف بين لغتهم المكتوبة والمتروءة والمتكلم بها قليل او معدوم ولذلك تجدهم يكتبون تقاريرهم ونحوها بدون تكلف وتراهم يجيدون فيها باقل عناء زد على ذلك ان اللفظ الواحد عندهم له رسم واحد فلا يلتبس بغيره في الانكليزية مثلاً لا يمكن ان يحتمل اللفظ الواحد من المعاني غير المدال عليه وذلك لعدم الاحتياج الى ما يماثل الشكل في اللغة العربية

ولذلك قد فكر الفصيح صاحب هذه السطور في استنباط طريقة مبنية على اساس بيداجوجي بها يسهل تعليم وتعلم اللغة العربية الشريفة ولو ان اهل التفكير واصحاب الرأي السليم يشفعون مقالي هذا بما يبدو لهم استحساناً واستهجاناً وما يؤيد كلاً لعملوا الواجب نحو لغتهم الشريفة

في الفرق الاولية من المدارس النظامية لا يخفى تعليم شيء من اجرومية اللغة العربية ونحوها وصرفها بل الاولى ان ينصرف التلاميذ الى الامور الآتية

(اولاً) حفظ قسم كبير من القرآن الكريم بالضبط والشكل الكامل مع فهم المعاني فهماً جيداً ويكون الحفظ عن ظهر قلب

(ثانياً) حفظ ما استسهل واستعذب وجاء من اشعار العرب بعد الاسلام ويكون الحفظ عن ظهر قلب المتعلم

(ثالثاً) تكليف التلاميذ بانشاء منشآت مع ادخال المناسب مما حفظوهُ

(رابعاً) الخطابة يلزم ان يتدرب عليها التلاميذ وتفرض لها جوائز . ومناظرة بعضهم بعضاً واستعمال اللغة العربية الفصيحة في جدلهم من أول الامور الواجب الاهتمام بها اهتماماً عظيماً . ويلزم ان لا يتكلم التلاميذ مع معلميهم اومع رفاقهم الا باللغة الفصحى

ويجب في الفرق الراقية ان يكثر التلاميذ من حمل المشآت ويتدربوا على تنسيق الموضوعات وابداء الآراء بطريقة منطقية راقية في قالب فصيح عذب . وبالجملة فاني ارى ان التلميذ يلزم ان يرمي بسهمين في آن واحد اولهما حفظ الكثير من اشعار العرب وكلامهم والقرآن الكريم ثانياً استعمال العربية الفصحى كثيراً في المخاطبة والجدل

اما النحو والصرف وعلوم الادب فتعلم في الفرق الارقى وبالطرق البيداجوجية الصائبة فيلزم ان تستخرج القواعد من امثلة كثيرة لا ان يذكر المدرس القاعدة ويمثل لها بامثلة قليلة مبتذلة ويلزم الاعتناء والاكثار من التمرينات فالتمرين ليس كشيء في ازالة العقبات وتذليل المستعصيات ولقد يأتي الانسان بالمدهش والعجب ويصير وحيد دهره وعالم عصره باي شيء صعب وذلك كله بالتمرن عليه والتدرب فيه

مصر حسين لبيب
مدرسة المعلمين الخديوية

تنازع البقاء بين العلوم

نشر المقتطف في الجزئين الاول والثاني من مجلده الرابع والثلاثين الصادرين في شهري يناير وفبراير (كانون الثاني وشباط) من العام الحاضر جانباً من مقالة علمية وضعها الدكتور شبلي شميل لتكون مقدمة لكتاب عزم على اعادة طبعه وهو "شرح بختر على داروين" . وقد اشتملت هذه المقالة على آراء غريبة لم يألف قراءة شيء يماثلها الناطقون بالضاد الا من تفرغ منهم لدرس العلوم العالية واشتغل بالبحث عن الحقائق الملموسة وغير الملموسة

ولما كنت من الذين اشتهروا بمثل هذه المباحث وقد عكفت على تمحيصها منذ حداثة سني جئت اذكر هنا ما جال في خاطري عند مطالعتي تلك المقالة . فاقول

ان المقالة التي وضعها الدكتور شميل اذا حللناها الى عناصرها الاخيرة على مذهب الكيماويين ثم نظرنا في مقدماتها ونتائجها على مذهب المنطقيين رأيناها تحوم حول نقطة واحدة هي هذه ركنين من اركان الاجتماع البشري وهما : الدين والشرع : وما ذلك الا ليقيم مقامها ركناً اوهى من خيط العنكبوت هو : الطبيعة ونواميسها المسيّرة : ولم يراع حضرته الفرق العظيم الموجود بين الحوادث البشريّة والحوادث الطبيعية فاراد ان يطبّق الشرائع البشرية التي اساسها الاختيار على الشرائع الطبيعيّة التي اساسها الاضطرار . وقال "ان

درس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس الجسم الحي نفسه ووضع نظاماته على نفس نظاماته لان الاجتماع البشري نفسهُ ليس الاَّ جسماً حيّاً ايضاً "

ومن الغريب انهُ مع اعتقادهِ وجوب المبادرة الى هذا التطبيق فقد اقرَّ هو نفسهُ " ان الاجتماع (البشري) عالم والطبيعة عمياء " فلا نعلم كيف انهُ يريد تطبيق ما هو عالم على ما هو اعمى الاَّ اذا حاول سلخ الحرية من الرادة بني البشر ونزع مسؤوليتهم عن اعمالهم . وبغير ذلك يكون هذا التطبيق معمًّى لا يدرك لهُ معنىً

اما البراهين التي اتى بها لهدم ما بناهُ عقلاء بني البشر في مدة تتجاوز عشرين قرناً فهي قولهُ :

" ان العلوم الدينيَّة تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لا يعود يعتد بهِ وهو بالواقع لا ينفصلهُ عنهُ شيء حتى ولا الموت . والحياة الاديبيَّة تصوّرهُ فوق حقيقتهِ بكثير كما تقول هي لا كما هو تزيدهُ ضعفاً على ضعفهِ وتجعل حياتهُ تكلُّفاً ورياء . وهاتان الحياتان الخياليتان تصطدمان في الاجتماع بالحياة العملية التي لا يسع الانسان ان ينفك عنها طرفة عين فتتنازعهُ كل هذه العوامل المتناقضة وتمزقهُ ايَّ تمزيق وهو الخاسر في هذا التنازع . ولو بُني دين الانسان على علاقتهِ الحقيقية الطبيعيَّة وأُقيمت آدابهُ على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل اعمالهِ متناسياً مع نفسهِ متوافقاً مع نهايتهِ ..... ولاستغنى عن تلك الفلسفة النظرية المضللة المبنية على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية الهادية الى السبيل القويم "

وقد توصل الدكتور شميل بتلك الاقوال الى هذه النتيجة العظمى وهي : " ان العلوم الطبيعيَّة هي المعول الذي يزعزع اركان تلك العلوم (اي العلوم النظرية) ويهدم بنيانها . بل هي النخل الذي يتكفل بقلب ما بقي طيها من النظامات المتقلقلة والشرائع التي هي سبب كل ما نراهُ من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن "

وانتقل حضرتهُ من الطعن على العلوم النظرية الى الطعن على الشرائع البوتراطية والشرائع الاوتوقراطية . كأن الفلاسفة هم الواضعون لتلك الشرائع المسؤولون عما سببتهُ من استبداد السلطتين الدينية والمدنية واعتدائهما على حقوق الافراد ومصلحة الجمهور استيثاراً بمنفعة ائمة الدين والدنيا الشخصية

اما حملة انتقادهِ العلوم الفلسفيَّة والادبية فقد بلغت بهِ الى درجة حملتهُ على اعتبارها عقبة في سبيل ارتقاء الانسان وجعلتهُ يشدّد النكير على الحكومات التي " ما زالت تؤيدها

وتنشئ لها المعاهد وتقيم لها الجامعات التي يتغنى بها بعض الشعوب حتى اليوم والتي لا يزول ضررها الاَّ بانقراضها "

ومن غريب غلوّه بالحمل على هذه العلوم انهُ استحسن حرق مكتبة الاسكندريَّة لان كتبها الثمينة لم تكن سوى " آثار مخلدة لضلال الانسان صارفة اياهُ من النظر في ما لديهِ من الحقائق مانعة لهُ عن السلوك في الصراط المستقيم "

وحيث ان هذه العلوم لم تفقد بين الناس بحرق تلك الكتب لاهتمام الخلف بلمّ شعثها وجميع شتاتها في كتب طبعت اليوم طبعات تعدّ بعشرات الوف فقد تنبَّأ لها الانقراض بل تنبأ بانقراضها في القريب العاجل بقولهِ : " ولكنها ستنقرض وستنقرض معها كل تلك العلوم العالية كما يستحوذها اليوم حتى يعفر اثرها وهي من يوم خطا الانسان الخطى العاثية في علوم الطبيعة في احتضار سيجهز عليها وكل سنة في هذا السبيل بمقام قرون في الماضي "

فاذا صدقت نبوة الدكتور شميل تمّ لا محالة هذا الانقراض بفعل ناموس تنازع البقاء وتغلب العلوم الطبيعية القوية على العلوم النظرية الضعيفة . واصبحت هذه العلوم الاخيرة حلقة من الحلقات المفقودة في سلسلة المعارف البشرية سوف يبحث عن آثارها خلفاؤنا كما نحن اليوم نبحث عن الحلقات المفقودة في سلسلة الكائنات

ثم انهُ لما كان تاريخ العلوم الفلسفية لا يتجاوز القرن السابع قبل المسيح وكان من تمّ دهر هذه العلوم نحو ستة وعشرين قرناً فاذا حسبنا كل سنة الآن في سبيل احتضار هذه العلوم بمقام ثلاثة قرون على الاقل فتكون المدة الباقية لها اقل من تسع سنوات على حساب الدكتور شميل

على انني أرى الدكتور شميل قد نسي اليوم ما قالهُ امس . ولاَّ لما ناقض بقولهِ هذا ما قالهُ في رسالتهِ " الحقيقة " التي طبعها منذ اعوام . فقد جاء في تلك الرسالة ما يأتي بالحرف الواحد :

" نعم ان صلاح الهيئة الاجتماعية صلاحاً تامًّا لا يكون الاَّ اذا كان العلم الصحيح تامًّا عامًّا ولا بدَّ منهُ يوماً ما الاَّ ان ذلك بعيد جدًّا وربما لزم لهُ الوف من الاجيال لان ازالة ما رسخ في العقل من المباديء في الوف من الاجيال ليست بالامر السهل "

فاين التسع السنوات الباقية لانقراض العلوم النظرية على ما قالهُ الدكتور شميل من الوف الاجيال التي تلتها ضرورية لتغلب العلوم الطبيعية عليها ونشر هذه العلوم بين الناس ورسوخها في عقولهم

وخلاصة القول ان الغرض الوحيد الذي من اجله وضع الدكتور شميل مقدمتهُ التي نحن في صددها هو تعظيم العلوم الطبيعية وجعلها وحدها معيار الحق وقسطاس اليقين . فدعاها العلوم الحقيقية الصحيحة . ووصف العلوم الاخرى البشرية بالالفاظ الآتية : بماحكات لا طائل تحتها . مخالفات بتنازل العقل فيها الى حد التبذل . مخرقة وتفنن في المشاغبات لا دليل مرشد الى الحق رادع للباطل . هيام في الاوهام لا ضابط لها الا الخيال . حكايات ككايات الغول والعنقاء " وشبهها " بسلم واهي الدرجات متناخر القوائم . وزينة كزينة القبور المكللة . وصقال كصقال العقدة التي لا تحل " وغير ذلك من النشايه الغريبة في بابها .

اما العلوم الطبيعية فهي على رأيهِ . " ام العلوم الحقيقية . ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية وان تتقدَّم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء . فيصح نظر الانسان حينئذٍ في لغاتهِ وينتظم قياسهُ بدليلهِ وتقوى فلسفتهُ بارتباطها وتعلم ادابهُ لانطباقها على العمل وتصلح شرائعهُ لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ويتسع عقلهُ لانطلاقهِ من قيود المتناقضة وتقييدهِ بنظام واحد شامل ذي اتساع لا يحد وتصح احكامهُ لترتيبها على القياس الصحيح ويسرع ارتقاؤهُ لانطباقهِ في سيرهِ على نواميس الكون "

ومعنى ذلك ان الانسان اذا نقب الارض ليلتمس معادنها واكبَّ على انبيق الكيماوي يحلل المادة الى عناصرها ودخل الغابات ليبحث عن انواع اشجارها وطباع حيواناتها وعالج مشراط الجراح وتعاطى صناعة الطب او البناء او الفلاحة والزراعة فقد صار لغوياً فصيحاً . ومنطقياً مصيباً . وفيلسوفاً حكيماً . وادبياً فاضلاً . ومشترعاً عادلاً . كيف لا والعلوم العملية هي العلوم الحقيقية الصحيحة ذات المعجزات العجيبة . وما العلوم الاخرى الا اوهام في اوهام . ومخالفات افسدت العقل واغوتهُ . وافسدت الآداب والاخلاق . وبلبلت نظام الاجتماع . وبذرت بذور البغضاء والشحناء بين الافراد والجماعات . اما العلوم الطبيعية فهي التي سوف تغير اخلاق الانسان وفلسفتهُ وشرائعهُ وحكوماتهِ وغير ذلك مما يتعلق بهيئتهِ الاجتماعية

ان العاقل منا اذا نظر في مثل هذه الاقوال نظر المتبصر يقف حائراً مدهوشاً مما يراهُ فيها من الغلو والتهور الذين تجل عنهما الابحاث الفلسفية والعلمية

ولا يخفى ان كلام العلماء لا يقدَّر الا بقدر ما يتضمنهُ من الادلة والبراهين لا الطعن والتنديد . ومن ثم كان اول واجب على من يذهب مذهباً حديثاً في العلوم او الفلسفة يناقض

المذاهب المتقدمة ويريد ان يبرهن على بطلان هذه وحقيقة تلك ان يراعي شعور خصومه فلا يقول لهم ان آراءهم : هذيان ، وسخافات ، وعاهكات ، ومشاغبات ، وتضليل وغير ذلك من الالفاظ التي تمس باحساسهم دون ان تقوي حجته

قلت ذلك لان الحدة التي يبديها الدكتور شميل كلما ذكر العلوم النظرية او ابداها عالم نظري فقال عن مذهب العلماء الطبيعيين مثلاً : انهُ تضليل وغواية وهذيان وغير ذلك من قوارص الكلام تحول البحث العلمي الى مشاحنة وضاعت الفائدة المقصودة منهُ . وليس هذا بمقام من جعل وجهتهُ البحث عن الحقائق العلية للاستفادة والافادة

هذا ما جال في خاطري عندما طالعت المقدمة التي وضعها الدكتور شميل تعظيماً للعلوم الطبيعيةَ

ولست انا ممن ينكرون ما للعلوم الطبيعية الجليلة من اليد البيضاء على الهيئة الاجتماعية وما يجنيهِ منها بنو البشر من الفوائد الجزيلة . وغاية ما اقتضاهُ ان تسير هذه العلوم بجانب الفلسفة لتنقذا معاً على تبديد غياهب الجهل السائد بين الناس في ما يختص بامر دينهم ودنياهم

واستلفت هنا نظر الدكتور شميل الى حقيقة غابت عنهُ وهي ان الانسان يدرك العلوم بعقلهِ . وان الفلسفة هي علم العقل . فالفلسفة اذاً هي ام العلوم لا العلوم الطبيعية كما يدعي

نعم اني استأذنهُ ان اجول معهُ في ميدان البحث عن موضوع هو مدار الخلاف بين العلم والفلسفة ونقطة النزاع بين العلماء الماديين والعلماء الروحيين وهو : وجود النفس : وذلك اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالاً لوضع مقالة عنوانها " المادة والروح " كنت قد شرعت في نشر جانب من مقدماتها في مجلة ادبيةٍ منذ احدى عشرة سنة ثم توقفت لتوقف تلك المجلة عن الظهور

يوسف شلحت